العدد 15 تشرين2 2024
No.15 Nov 2024
المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254

مبادئ التعايش الإنساني في الفقه الإسلامي

أ.م. د. فارس فضيل عطيوي
جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية
faris.fadeel@uokufa.edu.iq

المُلخص
يعد مبدأ التعايش الإنساني من الأركان الأساسية للأديان السماوية، وهو ضرورة ملحة يفرضها الحفاظ على سلامة الوجود البشري، ويمليها الحرص المشترك بين الناس على البقاء الحر الكريم، لذلك يعتبر التعايش مسألة وجودية ترتبط بالكيان المادي والمعنوي للبشرية للبقاء ضمن عنصر الديمومة في الوجود، إذ يستجيب التعايش إلى الدواعي القائمة على قاعدة جلب المنافع ودرء المفاسد، وتلبي نداء الفطرة الإنسانية السوية للعيش في أمن وسلام، حتى ينصرف الإنسان في أمن وسكينة إلى عمارة الأرض بموجب المعنى الحضاري والإنساني، لذلك أخذ الدين الإسلامي على عاتقه الدعوة إلى السلم، وقد سبق الأمم العالمية في إعلان عن نداء السلام العالمي الشامل.
الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الشريعة الإسلامية، التعايش الإنساني، الفقه الإسلامي، التوحيد، العدل، الإمامة، النبوة، الميعاد، السلام الاجتماعي، القيم الأخلاقية.

Principles of Human Coexistence in Islamic Jurisprudence

Assistant Prof: Faris Fadhil Atiwi
University of Kufa – College of Basic Education

Abstract
The principle of human coexistence is one of the basic pillars of the heavenly religions. It is an urgent necessity imposed by preserving the integrity of human existence, and dictated by the common concern among people for free and dignified survival. Therefore, coexistence is an existential issue related to the material and moral entity of humanity to remain within the element of continuity in existence, as coexistence responds to the motives based on the principle of bringing benefits and warding off corruption, and meets the call of sound human nature to live in security and peace, so that man turns in security and tranquility to the development of the earth according to the civilized and human meaning. Therefore, the Islamic religion took upon itself the call for peace, and it preceded the world nations in declaring a call for comprehensive global peace.
Keywords: The Holy Quran, Islamic law, human coexistence, Islamic jurisprudence, monotheism, justice, imamate, prophecy, appointment, social peace, moral values.

مقدمة

إن الدين الإسلامي وضع منظومة عقائدية تقوم على أسس الأخوة والتعاون الإنساني من أجل بناء نظام حياتي مشترك على اختلاف الأديان والمذاهب والأعراق، وقد حدد الثوابت والخصوصيات الإسلامية بوصفها طريقا للحياة ووسيلة لتحقيق الأمن والسعادة، ولأن الدين الإسلامي يؤمن بالحياة الأبدية فأن مصير الإنسان الأزلي يرتبط بهذه الثوابت التي تقع في دائرة أصل التكليف، وتمثل عقيدة التوحيد قمة الثوابت بالنسبة للمعتقدات، مثل: الإيمان بالله(ﷻ) كونه خالق الكون والملائكة والرسل والكتب، وهذا يقتضي التسليم التام لتشريع الخالق(ﷻ)، وكل ما تثبت نسبته إلى الله(ﷻ) بالنصوص القطعية، كما وضع الدين الإسلامي تحديداً دقيقاً للثوابت في التعاملات الإنسانية في أصول الدين الإسلامي، والموجهة لأنماط الحياة الدينية والدنيوية عبر معتقدات إيمانية، وعبادات يؤديها المسلم، وقيم أخلاقية عامة يحث عليها، والتي تشكل برمتها نظاماً متكاملاً للحياة يسعى إلى تعايش المسلم مع الطرف الآخر.

إشكالية البحث

يتمحور البحث حول إشكالية مفادها: **"طبيعة المبادئ الإسلامية المعنية بالتعايش الإنساني"**. وعليه تتبين التساؤلات التالية:

- ما هو أثر العقائد الإسلامية في تدعيم التعايش الإنساني؟
- ما هو أثر المنهج القرآني والمنظومة القيمية في تعزيز التعايش الإنساني؟

فرضية البحث

تنطلق فرضية البحث من إدراك أن الدين الإسلامي وضع مجموعة من الثوابت العقائدية على اعتبارها الوسيلة التي يسير عليها المسلم في التعامل مع الآخرين، وأن هذه الثوابت اشترطت احترام المسلم لكافة الأديان والمعتقدات ضمن إطار التعايش السلمي لبناء النظام الاجتماعي القويم.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، بغية استنباط الحقائق المتعلقة بالدين الإسلامي، وتتبع التشريعات والأحكام الإسلامية المتعلقة بالتعايش السلمي وتحقيق الرفاهية الإجتماعية بعيداً عن الاحتراب والتعصب وفق منظومة الأخوة بين جميع الناس.

هيكلية البحث

اشتمل البحث على ملخص، ومقدمة، وخاتمة، كما تضمن مطلبين، إذ في المطلب الأول: **"أثر العقائد الإسلامية في تدعيم التعايش الإنساني"**. والمطلب الثاني: **"أثر المنهج القرآني والمنظومة القيمية في تعزيز التعايش الإنساني"**.

المطلب الأول

أثر العقائد الإسلامية في تدعيم التعايش الإنساني

يعد الدين ضرورة الاعتقاد بالحياة الإنسانية المتجسدة في الإيمان بالخالق وعبادته، إذ تنظم العقيدة حياة الأفراد وتهذب سلوكهم بموجب المنهج العقلاني حيث ينظر إلى المصالح برؤية واقعية تنسجم بما يخدم الإنسان وتطلعاته، وأن الدين الإسلامي بلور عقيدة راسخة منتقاة من الإيمان بالخالق والانقياد التام لأوامره، وإرشاد الناس إلى مسالك الحق والمعرفة الراسخة بأنفسهم بغية إشاعة السعادة والسلام بينهم، كما تلزم العقيدة الإسلامية أن يسير المسلمين على خطى التوجيه القرآني القائم على دوام الصلة بالخالق، والدعوة إلى التعايش العقيدي بين المسلمين وغيرهم من الديانات عبر الإيمان برسالات الأنبياء السابقين، واحترام حرية العقيدة لكل الأديان مع احترام ممارستها وعدم العمل على تعجيزها. وبناء عليه، نقسم هذا المطلب على فقرتين، هما: الفقرة الأولى، انعكاس عقيدتي التوحيد والعدل على المبادئ الإنسانية. والفقرة الثانية، انعكاس عقائد النبوة والإمامة والمعاد على المبادئ الإنسانية.

الفقرة الأولى: انعكاس عقيدتي التوحيد والعدل على المبادئ الإنسانية

إن عقيدة التوحيد في الديانة الإسلامية تجسد المنهج الإنساني الشامل الذي يحكم حياة المسلمين في جميع تعاملاتهم لترشدهم إلى حياة متكاملة الأركان، إذ تنظر عقيدة التوحيد رؤية تكاملية لجميع مناحي الحياة بعيداً عن الصراعات بموجب الدعوات الواضحة للسلام[1]، وأن ترسخ عقيدة التوحيد في النفوس يعزز الإخاء والتعايش الإنسانيين عن طريق محاور "الملكية، التسخير، والاستخلاف" التي تعمل على تربية النفس البشرية، وإشاعة التعايش السلمي.

وتعود ملكية المخلوقات إلى خالقها الأزلي الله(ﷻ) الذي قال بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[2]، وأن الخالق خص العقلاء تأكيداً فقد أشار "أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي"، قائلاً: "يعني العقلاء وإذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم، وإنما خص العقلاء تفخيماً له"[3]، إذ أن

---

(1) السيد عبد الله شبر، حق اليقين في معرفة أصول الدين، ط2، مطبعة مهر، قم المقدسة، 2003، ص29.

(2) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية (24).

(3) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج5، دار أحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2013، ص155.

التوجهات العقائدية عن النفس البشرية تحتاج إلى الرعاية المستمرة من الخالق، والتي تدل على حاجة الإنسان المعلم الأعظم والموجه الأرشد، حيث أشار "محمد حسين الطباطبائي"، قائلاً: "أنكم لا تفتقرون في وجودكم وبقائكم إلا إليه تعالى وتقدس"[1]

إن الخالق الواحد الأحد لجميع البشر قد خلق البشرية بشكل متساوي من دون تفاوت ليكون عادلاً في محيطهم دون تمايز، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]، وأن عدم التمييز الذي وضعه الخالق يؤكد حق أحياء العيش الكريم فالتوحيد يحي الإنسان كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[3]، أي أن الله لما يورثكم الحياة الأزلية من التقييم الدائم للعقائد والأعمال[4]. كما أن الاعتقاد بالتوحيد المبني على المبدأ الإلهي يعطي المخلوق حياة سوية ملؤها التوفيق والسداد، وعن طريق التوحيد المطلق لله يصل الفرد إلى الرشاد من خلال المرشد له وهو الله خالقه، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[5].

إن عقيدة التوحيد لها دلالات اجتماعية أذا ما تبنت بصورة فاعلة حيث يسود التوحيد القويم بين الناس، وعن علو مكانة التوحيد في نفوس المؤمنين فقد أكد الإمام "جعفر بن محمد الصادق"(ع)، قائلاً: "أنهم عرفوا التوحيد حق معرفته، واحكموا علم توحيده والإيمان بعد ذلك بما هو صفته ثم علموا حدود الإيمان وحقائقه وشروطه وتأويله"[6]، وبالتالي، فأن عقيدة التوحيد تربط الجوانب الحياتية الإنسانية مع الخالق، وهذه العقيدة هي القاسم المشترك بين كل الأنبياء، لكن درجات الإيمان بالتوحيد تختلف في العمق والأصالة والتركيز والترسيخ، لذلك فأن الإيمان بالتوحيد ذو درجات متفاوتة في التقبل بين الأديان[7].

أما التسخير "التذليل" فقد خلق الله الكون لخدمة الإنسان، إذ أن التسخير هو "ما تشاهده من ارتباط أجزاء الكون بعضها ببعض في نظام عام يدبر أمر العالم عامة والإنسان خاصة لكونه أشرف إجزاء هذا العالم المحسوس بما فيه من الشعور والإرادة فقد سخر الله الكون لأجله"[8]، وعرض القرآن مبدأ التسخير المطلق للإنسان ليؤدي مهمتين، هما: "إقامة العدل وعمارة الأرض"، حيث قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[9]، كذلك قوله: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[10].

إن الخالق(ﷻ) مكن الإنسان من عمارة الأرض، وأن الإنسان المستخلف في الأرض يتحمل مسؤولياتها، وهو الذي يتعايش ضمن إطار الاستخلاف ليطيع الله ويعبده كون العبادة هي كمال الطاعة[11]، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[12]، ولا يتحقق التسخير إلا بالعلم حيث يتمكن الإنسان من تسخير أسرار الكون، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾[13]، أي أن تذليل جميع المصاعب التي تعترض الإنسان هي

---

(1) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج10، الأعلمي للمطبوعات ومؤسسة المجتبى للمطبوعات، قم المقدسة، 2004، ص298.
(2) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية (13).
(3) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية (13).
(4) أبي الفضل شهاب الدين السعيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط2، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص177.
(5) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية (97).
(6) الحسن بن علي بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، 1963، ص325.
(7) فوزية محمد علي عبد الجبار، لماذا البحث عن الخالق، مركز الآفاق للدراسات الإسلامية، طهران، 2002، ص365.
(8) محمد حسين الطباطبائي، المرجع السابق، ج14، ص314.
(9) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية (90).
(10) القرآن الكريم، سورة هود، الآية (61).
(11) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المرجع السابق، ص224.
(12) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية (56).
(13) القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية (13).

دليل إلهي قائم على المحافظة على الصيرورة والسيرورة لتحقيق مجتمع الحرية والعدالة الإجتماعية بأرقى صورها[1].

أما الاستخلاف فقد خلق الله(ﷻ) الإنسان موكلاً إليه أنابته في الأرض، إذ شرع له الأحكام التي تؤهله لأن يكون قادراً على أداء المهمة، وأودع فيه أسباب القوة ليدعم امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وبما أن الله(ﷻ) هو المستخلَف، وهو صاحب الكمالات العليا، والمنزه عن النقص مقابل الإنسان الذي يعتريه النقص فهو لا يحكي في وجوده المنسوب بكل نقص إلى الوجود الإلهي المقدس[2].

وأراد الخالق(ﷻ) من الاستخلاف التأسيس لصيرورة حياة بشرية فضلى حيث يتمتع الإنسان بالنجاح والسعادة في الدارين، وعمارة الأرض بطاعة الله(ﷻ) وتحقيق الأمن والسلام فيها[3]، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[4]، أي أن مفهوم الاستخلاف ليس مجرد الملك، القهر، الغلبة، والحكم فحسب، وإنما هي هذا كله على اشتراط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية[5].

أما العدل فيعد أصل من أصول الدين الإسلامي، و"هو الكف عن الظلم ورفعه أو إعطاء كل ذي حق حقه، فعدل الإنسان مع نفسه هو سلوكه طريق الاستقامة وعدله مع غيره بإعطاء كل ذي حق حقه"[6]، وأن الخالق(ﷻ) عادل في حكمه لا يظلم الإنسان مثقال ذرة، وأن العدل الإلهي يمثل البنية الجوهرية للعدالة الإجتماعية، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[7]، وقد أشار الشيخ "المفيد" إلى أي "الله تعالى عدل كريم خلق الخلق لعبادته وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته دعمهم بهدايته، لم يكلف أحداً إلا دون الطاقة، ولم يأمره إلا بما جعل له عليه الاستطاعة لا يعذب أحداً إلا على ذنب فعله، ولا يلوم عبداً إلا على قبيح صنعه لا يظلم مثقال ذرة فأن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً"[8].

إن المجتمع التوحيدي هو المجتمع الذي يطبق العدالة بين رعاياه، إذ أن الاعتراف بعدالة الخالق(ﷻ) تستوجب إقامة العدالة حيث ينعم جميع الناس بالمساواة والسلام، كما أن الإقرار بالتوحيد يعني الإقرار بخالق الواحد الأحد مع صفاته ومكنوناته جميعاً بما فيها العدل، وأن الشريعة الإسلامية قد نهت عن الظلم بكل أشكاله لا سيما المظالم المتبادلة بين العباد.

الفقرة الثانية: انعكاس عقائد النبوة والإمامة والمعاد على المبادئ الإنسانية

تعد النبوة من أصول العقيدة الإسلامية كونها المصدر للهداية التشريعية للإنسان بواسطة الوحي والنبوة، وترتبط النبوة بالوجود الأزلي للخالق(ﷻ)، وأن أنكار النبوة يعد أنكاراً لحكمة الله(ﷻ) وقدرته على الهداية التشريعية، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾[9]، أي ما عرفوا الله حق معرفته، إذ قالوا ما أنزل الخالق على بشر بشيء، أي لم يظهر من علمه وكلامه على أحد شيئاً عن عباده، وعدم إمكان ظهور بعض صفاته على مظهر بشري، ولو عرفوا لما انكروا[10].

إن معرفة الخالق(ﷻ) الحقة تحجب أنكار أرساله الأنبياء والمرسلين إلى البشر، لأن حكمة الله(ﷻ) توجب أعانة الإنسان في مسيرته المليئة بالمنعطفات لبلوغ هدفه التكاملي، كما أن رحمة الخالق(ﷻ) لن تترك

---

(1) القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية (13).
(2) محمد حسين الطباطبائي، المرجع السابق، ج1، ص116، 117.
(3) محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ج5، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، عُمان، 2003، ص436.
(4) القرآن الكريم، سورة النور، الآية (55).
(5) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط32، ج6، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص118.
(6) عبد الله الهاشمي، الأخلاق والآداب الإسلامية، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص280.
(7) القرآن الكريم، سورة الزلزلة، الآية (7).
(8) السيد أبو القاسم الديباجي، العدل: دراسة معاصرة، 1996، ص28، 29.
(9) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (91).
(10) أبي الفضل شهاب الدين السعيد محمود الألوسي، المرجع السابق، ج4، ص241.

الإنسان معزولاً في الحياة المليئة بمختلف العقبات[1]، وفي الشريعة الإسلامية فأن الأنبياء مقدسين ومعصومين من الخطأ والزلل، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]، وهو خلاف ما جاءت به اليهود من اتهامات للأنبياء، وبخلاف ما جاءت به النصارى حيث يعتقدون أن النبي "عيسى بن مريم"(ع) ابن الله(ﷺ) ويدعو الناس لعبادته، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[3].

إن الدين الإسلام أنكر على أهل اليهود والنصارى طاعتهم لأحبارهم وكهنتهم من دون برهان أو دليل، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[4]، وكان الرسول "محمد"(□) يقرأ هذه الآية فسمعه "عدي بن حاتم"، وقد تنصر في الجاهلية، فقال للرسول: "أنهم لم يعبدوهم، فقال(□): بلى أنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم"[5].

وجاءت الإمامة استكمالاً لدور النبوة في قيادة الجمع الإنساني، وهي قيادة الأمة نيابة عن النبي(□)، والإمامة أصل من أصول المذهب الأمامي، وهي بمنزلة النبوة من حيث النص والصفات وسائر الخصوصيات والكمالات النفسية المتوفرة في شخصية النبي(□)، إذ أن بنية الإسلام ورسالته الهادفة إلى الهداية تستلزم وجود مرجعية عليا حارسة أمينة عالمة لتحقيق غاياته الهادية، وإذا كان الإمام يحمل الصفات والكمالات النفسية المتوفرة في شخصية الرسول "محمد"(□)، فلا بد أن يكون أفضل من سائر الرعية، وبالتالي، سائر قراراته صائبة لمصلحة المجتمع[6].

إن الإمامة من الجانب القرآني تحقق غاية المسار الإنساني الناشد للسعادة والأخوة، وتوصل في نفوس المؤمنين الرغبة في إيجاد أفضل السبل لتحقيق تعايش إنساني، إذ أن هدف الوجود الإنساني تحقيق العيش الآمن والغاية من الخلق عبادة الله، والإنسان بفطرته يحتاج إلى من يرشده إلى الأمان والأئمة الأطهار مصداق القدرة على تأمين السلام[7].

أما عقيدة المعاد فهي الاعتقاد بوجود الحساب يوم الآخرة، ولا فائدة للدين مع أنكار المعاد، وإن اعترف الإنسان بوحدانية الله(ﷺ)[8]، ويتجسد الاهتمام بالمعاد في حياة البشر حينما يفكر الإنسان بمآله النهائي، وما يستتبعه من الفلاح أو الخسران، إذ أن حساب الإنسان على أعماله في الدنيا يقتضيه العدل الإلهي، وهو رحمة للمؤمن جزاء حسن طاعته، وتأتي أهمية المعاد حينما يربطه الله(ﷺ) بالإيمان الذي ينشأ عنه الأمان التام في الحياة الدنيا[9]، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[10].

إن تمام الإيمان بالحياة الآخرة يجعل الوجود الإنساني غاية سامية في فعل الخيرات لتقوية الوازع النفسي المقدم على السلم والعيش المشترك بروح الإخاء الإنساني، إذ تتجسد فلسفة المعاد من خلال ارتباطها بالعمل الصالح والحث على معاملة الناس وفق ما أنموذج الأخلاق الفاضلة والشريعة الإسلامية، إذ أن العمل الصالح يفضي إلى الانسجام الإنساني، وبما أن الأعمال الإجتماعية النبيلة تحث على التعاون

---

(1) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج4، دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص259.
(2) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية (33).
(3) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية (116).
(4) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية (31).
(5) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص160.
(6) زهير بيطار، منطق الإمامة الضرورة الواقعية والنص، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص41.
(7) جواد علي كسار، بحث حول الإمامة، نص الحوار مع السيد كمال الحيدري، دار الفراقد للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، 1999، ص57 – 71.
(8) محمد حسين الطباطبائي، المرجع السابق، ج10، ص15.
(9) السيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987، ص260 – 264.
(10) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية (31).

ومساعدة الآخرين فأنها تسهم في نشر مفاهيم السلم الاجتماعي، وتقرب عامليها من الخالق(ﷻ)[1]، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[2]، وبناء عليه فأن المعاد يحقق للنفس الإنسانية هدايتها وتحفزها نحو تحقيق ذاتها، وتبعدها عن ارتكاب الخطايا بموجب رسالة السماء.

إن الدين الإسلامي أنفرد عن الأديان الأخرى في نظرته إلى السلوك الجزائي الأخروي، إذ أن اليهود تنصلوا من المسؤولية الجزائية للمعاد، أما بالإنكار أو بعدم وقوعه إلا في الحياة الدنيا، وأن موقف اليهود يوجب أمرين، هما: الأول، تنصل اليهود من مسؤولية تصرفاتهم إزاء الآخرين، حيث يبيحوا لأنفسهم جميع الأفعال المنكرة بحق الآخرين، والثاني، افترائهم على الوحي المقدس الذي يحمل أصول المعاد[3].

أما النصارى فأنهم يؤمنون عن طريق عقيدة "صلب السيد المسيح" بتوسطه على اعتباره ابن الله(ﷻ) الوحيد، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق[4].

يتبين أن العقيدة الإسلامية تقوم على أسس توفيقية، وليست أسس صراعية، حيث تنظر إلى طبيعة الإنسان التكوينية من حيث الدعوة إلى التآلف والوحدة الإنسانية ونبذ الصراعات عن طريق النصوص القرآنية التي تدعو إلى التعايش السلمي.

المطلب الثاني

أثر المنهج القرآني والمنظومة القيمية في تعزيز التعايش الإنساني

يطرح الدين الإسلامي عن طريق القرآن الكريم والأحاديث النبوية مفاهيم للتعايش الإنساني عبر العديد من أحكامه ومفاهيم وتوجهات التي تنظم الحياة بالطريق الأوحد والأسلم في العيش المشترك بين الناس على اختلاف معتقداتهم، فقد فرض القرآن النظرية الإنسانية القائمة على أسس الرابط التكويني في الخلق بغية تحقيق التعايش السلمي، إذ أن جميع البشر متساوين أمام الخالق(ﷻ) ولا فرق لأحدهم على الآخر إلا في ميزان التوحيد والتقوى. وبناء عليه، سوف نقسم هذا المطلب على فقرتين، هما: الفقرة الأولى، دور القرآن في تحقيق السلام الاجتماعي. والفقرة الثانية، تعزيز منظومة القيم الأخلاقية والسلوكية.

الفقرة الأولى: دور القرآن في تحقيق السلام الاجتماعي

خلق الله(ﷻ) الإنسان ليكون خليفته على الأرض، وكرمه على سائر مخلوقاته، وسخر له النعم ما لا تحصى عددها، وأرسل إليه الأنبياء لهدايته، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[5]، ولكي يتمكن الإنسان من تحقيق مهمته الرسالية يقتضي حمايته ورعايته، لذلك حرم القرآن الكريم الاعتداء على النفس وإزهاقها، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[6]، لذلك شرع الخالق(ﷻ) عقوبات صارمة لحماية الإنسان من القول أو عمل الذي يمس كرامته ويهين شعوره، إذ نهى عن السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب وكل ما يسيء إلى كرامة الإنسان.

وأمر القرآن المرء بعدم ظلم نفسه، وقد أوجب عليه الانصاف والعدل، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[7]، وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من آية إلى اعتبار توفير الأمن من الحاجات الضرورية التي لا غنى للإنسان عنها، وهي نعمة من نعمه الخالق(ﷻ) التي أسبغها على عباده، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[8]، ولم تقتصر دعوة

---

(1) محمد حسين الطباطبائي، المرجع السابق، ج15، ص341.
(2) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية (110).
(3) عماد علي عبد السميع، الإسلام واليهودية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص123.
(4) أحمد شلبي، مقارنة الأديان: المسيحية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1960، ص98.
(5) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية (70).
(6) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية (32).
(7) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية (8).
(8) القرآن الكريم، سورة قريش، الآية (3، 4).

الأمان على قومية محددة، بل شملت جميع الأجناس البشرية، والاطياف المتنوعة في ضوء أواصر اجتماعية يربطها الايمان بالله(ﷻ)، كما أمر النص القرآني إلى نشر مفاهيم العدل والمساواة والاحسان للجميع لبناء نظام اجتماعي تكافلي تسوده الرحمة والتعاون، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[1].

إن الأمن الاجتماعي لا يتحقق إلا بإشاعة العدالة بين الناس والتي لا تتحقق إلا بتوفر مضامينها من الضمان والتكافل الاجتماعيين ومعالجة الفوارق بين الطبقات، وهنا يتوجب على الدولة في النظام الإسلامي ضمان العيش لأفرادها، عن طريق توفير فرص العمل لهم، وكفالتهم في حال الكبر[2]، فضلاً عن توفير أدوات الضبط الاجتماعي في جانبين، هما: الأول، تنشأت الأفراد بالطريق القويم المؤسسات التعليمية والتوعوية المعنية، والثاني، توطيد القوانين والتشريعات بنمطها الثواب والعقاب[3].

واعتمدت الشريعة الإسلامية أسلوب الحوار لإشاعة السلم والأمن، وقاعدة في دعوت الناس إلى الإيمان بالله(ﷻ)، وعن طريق الحوار القرآني يتبين دور الحكمة والموعظة الحسنة والجدال البناء في تقارب وجهات النظر الهادفة إلى خلق مجتمع مسالم، إذ اعتمد الإسلام على قيم الأخوة الإنسانية، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[4]، وبشر القرآن الذين يتبعون الحوار الحسن، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[5]، أي أن الخالق أولى أصحاب الخلق الحسن بالقبول والعمل به وأرشده إلى الحق، وقيل يتبعون أحسن ما يؤمرون به ويعملون به[6].

ودعا القرآن الحوار في مجادلة أهل الكتاب بالطرق السلمية الإقناعية بأسلوب الجدال من حسن الألفاظ، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[7]، ويكون الحوار أحسن الطرق إذا كانت بالمناظرة برفق ولين الإرادة الخير والنفع بها[8].

وحثت الشريعة الإسلامية المسلمين على احترام عقائد الآخرين، حرصاً على اتباع سياسة اللا عنف في سلوك المسلمين، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[9]، ولكي تؤتي عملية الحوار نتائجها نبذ الإسلام الإكراه أو الترهيب لأصحاب المعتقدات الدينية الأخرى.

الفقرة الثانية: تعزيز منظومة القيم الأخلاقية والسلوكية

إن المكانة الحقيقية للإنسان تتوقف على تهذيب سلوكياته، لذلك بدأت الديانات السماوية تطرح تشريعاتها وتبث مفاهيمها للإنسانية جمعاء حيث جعلت من الأخلاق هدفها الأسمى، ولتقييم أداء السلوكيات الإنسانية يجب معرفة أركان استحصال الخلق الحسن، وهي: "قوة العلم" التي يسهل بها أدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات، و"قوتا الغضب والشهوة" فانقباضهما وانبساطهما حسب ما تقتضيه الحكمة والدين، و"قول العدل" بموجب العقل والشرع[10].

وتتبوأ الأخلاق في الديانة الإسلامية منزلة رفيعة جسدها الخالق(ﷻ) قولاً وفعلاً في الرسول "محمد" الأمين حيث وصفه الله(ﷻ) بأجمل الأوصاف، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

---

(1) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية (90).
(2) زهير الأعرجي، النظرية الإجتماعية في القرآن الكريم، مطبعة أمير، قم المقدسة، 1994، ص34.
(3) محمود البستاني، علم الاجتماع في ضوء المنهج الإسلامي، نشر محدث، قم المقدسة، 1962، ص80.
(4) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية (10).
(5) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية (10).
(6) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المرجع السابق، ج8، ص636.
(7) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية (46).
(8) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المرجع السابق، ج8، ص371.
(9) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (108).
(10) السيد عبد الله شبر، الأخلاق، ط2، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1991، ص26.

عَظِيمٍ﴾[1]، إذ تشكل الأخلاق والإيمان الرابطة التكاملية العقائدية في نفس المؤمنين حتى يبلغ درجة الكمال، كما جاء في الحديث النبوي الشريف قوله "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[2].

وتعد الأخلاق السلوك والعمل الضابط للنفس البشرية، إذ لا قيمة للأخلاق من دون عمل يجسد مصداقيتها في التعامل مع النفس الإنسانية بمعيارية صالحة وصادقة في نيل متطلبات الحياة المشروعة في العيش الآمن، إذ أن أخلاقية الدين وأخلاقية الضمير تربطهما صلة وثيقة أشارت إليها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3].

وأكدت الشريعة الإسلامية على قيم المحبة والتواضع التي تقترب من الإخاء الإنساني، وتشد من أزر العلاقات الإنسانية حيث تزيدها ترابطاً، إذ أن المحبة تعني "ميل الطبع إلى الشيء اللاذ"، وعرفها بعض الفقهاء بأنها: "الإرادة ومحبة الله تعالى للعبد أرادة ثوابه، ومحبة الله هي أرادته وطاعته"[4].

كما أشارت الشريعة الإسلامية إلى قيمة التسامح حيث يقر الإسلام بوجود الطرف الآخر المخالف فرداً أكان أم جماعة، وأن له شرعية تقوم على الاعتقاد والممارسة ونظر إلى الشرك باعتباره ديناً في نفوس معتنقه، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[5]، غير أن المشركون رفضوا التعايش مع المسلمين بسبب عدم تقبلهم وجود دين جديد في مدنهم فقرروا محاربته مما أضطر المسلمون إلى الدفاع عن عقيدتهم وأطلاق حرية التدين للمجتمع.

وتؤكد الشريعة الإسلامية على قيم الإصلاح والمعاشرة والمداراة بين الناس، بهدف تقوية النسيج المجتمعي، والذي بدوره يحقق السعادة والسلام في العيش المشترك، وتبلور هذه القيم نسبة من الإيمان، إذ أن الإصلاح بين الناس يقصد به التقريب بين الناس وإزالة ما بينهم من عداوة وقطيعة، ثم إرجاع المودة بينهم[6]، كما في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[7]، وأشار الرسول "محمد"(ص) قائلاً: "أتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فأن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة"[8].

يتبين مما سبق أن الدين الإسلامي يعتقد باختلاف الأديان، كونه مشيئة الخالق(ﷻ)، وان هذا الاختلاف منحه من الخالق(ﷻ) إلى خلقه من أجل أن يمارسوا حرية الاختيار فيما يعتقدون، كما يعتقد المسلمين بكرامة الإنسان بعيداً عن دينه أو جنسه أو لونه، وطبقاً لحرية الاعتقاد فليس من حق المسلم أن يحاسب الكافرين على كفرهم، وإنما ترك أمر ذلك إلى يوم الحساب.

الخاتمة

إن الدين الإسلامي يؤكد على الزامية احترام المعتقد والثقافة الأخرى على اعتبارها الأداة الجوهرية من أجل التعايش السليم بين الناس، إذ لا تظلم الأديان عند المسلمين، كما أكد الدين الإسلامي على أهمية التواصل الحضاري والقيمي مع الطرف الآخر بناء على مبدأ التنوع، إذ أن تقبل الطرف الآخر ينم عن الوعي بالمواقف الإنسانية التي يؤكد عليها القرآن الكريم، فقد وضعت الشريعة الإسلامية مجموعة من المحددات والضوابط التي تلزم المسلمين باتباعها في التعامل مع الآخرين لبناء نظام اجتماعي يقوم على الأخلاق الحسنة وعدم التمييز بين جميع البشر مما يساعد على ديمومة التعايش العالمي.

---

[1] القرآن الكريم، سورة القلم، الآية (4).
[2] أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكاب العلمية، بيروت، 2012، ص315.
[3] القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية (88، 89).
[4] مرتضى الميلاني، محاضرات في المعارف الإسلامية، ج1، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران، 2003، ص254.
[5] القرآن الكريم، سورة الكافرون، الآية (5).
[6] عبد الله الهاشمي، المرجع السابق، ص87.
[7] القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية (1).
[8] محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير: شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018، ص160.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب

2. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج5، دار أحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2013.
3. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
4. أبي الفضل شهاب الدين السعيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط2، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.
5. أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكاب العلمية، بيروت، 2012.
6. أحمد شلبي، مقارنة الأديان: المسيحية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1960.
7. جواد علي كسار، بحث حول الإمامة، نص الحوار مع السيد كمال الحيدري، دار الفراقد للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، 1999.
8. الحسن بن علي بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، 1963.
9. زهير الأعرجي، النظرية الإجتماعية في القرآن الكريم، مطبعة أمير، قم المقدسة، 1994.
10. زهير بيطار، منطق الإمامة الضرورة الواقعية والنص، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.
11. السيد أبو القاسم الديباجي، العدل: دراسة معاصرة، 1996.
12. السيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.
13. السيد عبد الله شبر، الأخلاق، ط2، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1991.
14. السيد عبد الله شبر، حق اليقين في معرفة أصول الدين، ط2، مطبعة مهر، قم المقدسة، 2003.
15. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط32، ج6، دار الشروق، القاهرة، 2003.
16. عبد الله الهاشمي، الأخلاق والآداب الإسلامية، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
17. عماد علي عبد السميع، الإسلام واليهودية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
18. فوزية محمد علي عبد الجبار، لماذا البحث عن الخالق، مركز الآفاق للدراسات الإسلامية، طهران، 2002.
19. محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ج5، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، عُمان، 2003.
20. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج10، الأعلمي للمطبوعات ومؤسسة المجتبى للمطبوعات، قم المقدسة، 2004.
21. محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير: شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.
22. محمود البستاني، علم الاجتماع في ضوء المنهج الإسلامي، نشر محدث، قم المقدسة، 1962.
23. مرتضى الميلاني، محاضرات في المعارف الإسلامية، ج1، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران، 2003.
24. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج4، دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.